الفصل الثانى

مقولات رأس المال وأشكاله على ضوء نظرية بورديو

- تمهيـد.
- أولاً : مفهوم رأس المال...من الطرح الكلاسيكي إلى الطرح المعاصر.
  - ١- مفهوم رأس المال.
  - ٢- مفهوم رأس المال البشرى.
- ثانياً : مفهوم رأس المال الاجتماعي.
- ثالثاً : مفهوم رأس المال الثقافي.
- رابعاً : مفهوم رأس المال السياسي.
- خامساً : مفهوم رأس المال الديني.
- التعقيب

تمهيـد :

تُشكل المفاهيم ركن من الأركان الرئيسية في أية دراسة علمية، لذلك فإن الباحث عندما يتجه إلى فحص ودراسة مفاهيم دراسته، فإنه بذلك يحاول إلقاء مزيد من الضوء على دراسته، ومحاولة الوصول لفهم واضح ودقيق لها، وهذا سوف يساعد الباحث على الوصول للطريقة النظرية والمنهجية الملائمة لموضوع دارسته.

ويُجسد هذا الفصل من خلال ما يتضمنه من مفاهيم كيف أن المفاهيم تتغير، كما تتغير النظريات، بل قد يكون تغير معاني المفاهيم أكثر عمقاً من تغير النظريات، خاصة وأن المفاهيم والمصطلحات هي التي تبنى وتكون النظرية[1]. وهذا ما ينطبق على المفاهيم التي سوف تتم مناقشتها خلال هذا الفصل.

ويأتي هذا الفصل كمدخل تعريفي بمفهوم رأس المال Capital ونشأته وتطوره عبر جهود عدد من العلماء في المرحلة الكلاسيكية، ويعد هذا المدخل ضروري لفهم رأس المال الاجتماعي، خاصة وأن مفهوم رأس المال يعد من المفاهيم المحورية في بناء نظرية أكثر من علم، خاصة علم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، اللذان يتضمنان إسهامات عدد كبير من العلماء فيما يتصل بمفهوم رأس المال. وهذا التتبع التاريخي لحركة مفهوم رأس المال بداية من المجال الاقتصادي إلى المجال السوسيولوجي المعاصر، مروراً بالأصل اللغوي للمصطلح، يهدف بالأساس إلى الكشف عن سر رأس المال وتطور مضامينه بتطور المجتمع البشري من ناحية وتطور التفكير الإنساني من ناحية أخري.

ونؤشر على أهمية مثل هذا التحليل التاريخي لمفهوم رأس المال ومضامينه، إذا أدركنا أننا أمام مفهوم تم استخدامه في التأسيس لنظام اقتصادي قائم على رأس المال بمعناه المادي، وتمخض عن ذلك تحلل الصلات والعلاقات التي تؤلف الجماعات التقليدية، بحيث أصبح رأس المال "النقود" هي المجتمع الجديد الواقعي، وهكذا انتقل بنا مفهوم رأس المال من نمط حياة نعتمد فيه مباشرة على هؤلاء الذين تربطنا بهم معرفة شخصية، إلى نمط حياة نرتبط فيه مع الآخرين بعلاقات غير شخصية وموضوعية، ومع تكرار عمليات التبادل وانتشارها يظهر رأس المال أكثر فأكثر كقوة هي خارج المنتجين الأصليين ومستقلة عنهم، ويتحول ما كان هدفه أصلاً تشجيع الإنتاج إلى علاقة غريبة عن المنتجين وينشأ حجاب يصنعه رأس المال والتبادل في السوق يحظى أو يزيف العلاقات الاجتماعية الحقيقية القائمة بين الأشياء.

يدفعنا مثل هذا الوضع إلى ضرورة تمحيص المفهوم ومضامينه والكشف عن السر الكامن

فيه، وكيف أثر إيجابياً وسلبياً على شكل الحياة التي نحياها وأسلوبها، نحن هنا لسنا بصدد كلمة تتكون من مجموعة حروف، إننا أمام مجموعة من العمليات والممارسات التي صنعنا منها أسلوب الحياة وشكل المجتمع الذي نتواجد فيه.

أولاً : مفهوم رأس المال ... من الطرح الكلاسيكي إلى الطرح المعاصر :

(١) مفهوم رأس المال :

يُشير "جورج ريتزر" George Ritzer في موسوعة النظرية الاجتماعية إلى أن تبنى العلوم الاقتصادية والاجتماعية لمصطلح "رأس المال" قد جاء في البداية من لغة التُجار، وكانت تعنى المواشي والدواب المعدودة بالرأس، لأنه في ذلك الوقت المُبكر كانت الدواب والمواشي هي السلعة التي يتم بواسطتها تقدير وتقييم كل السلع الأخرى أو ما يِطلق عليه العلماء رأس المال الاقتصادي Economic Capital[٢].

وبعد ذلك تم استخدام كلمة رأس المال لتُشير إلى المال أو الاستثمار في المال، ويكاد يكون هناك إتفاقٌ عام بين العلماء على مختلف تخصصاتهم على أن رأس المال الاقتصادى هو أكثر أشكال رأس المال كفاءة، وهو يُشير إلى الدخل المادي، أو هو الشكل الذي يقبل التحويل بشكلٍ مباشرٍ وسريع إلى مال، ليس هذا فحسب بل من المُمكن تحويله إلى أي شكلٍ آخر من أشكال رأس المال بسهولة ويسر، كما يُمكن نقله من جيل إلى آخر[٣].

وجاءت بعد ذلك جماعة الفيزيوقراط ومن بعدهم "آدم سميث" (١٧٢٣-١٧٩٠م) Adam Smith ليحرروا مصطلح رأس المال من اقتصاره على رأس المال النقدي، ليُشير إلى المال والأدوات وأغراض أخرى، واستخدم "آدم سميث" مفهوم رأس المال ليشير إلى جميع متطلبات الإنتاج التي تُحقق الدخل، وجزءٌ من هذه المتطلبات – والذي يُعد جزءاً من رأس المال – يتمثل في القدر المناسب من المهارات التي يمتلكها الأفراد، الذين يكون لديهم القدرة على توظيفها بكفاءة، وهو ما يتم التعبير عنه بمفهوم رأس المال البشرى Human Capital[٤].

ولقد تعامل عُلماء الاقتصاد البورجوازيين الكلاسيكيين التابعين لـ "ريكاردو" (١٧٧٢-١٨٢٣م) مع رأس المال بوصفه عمل متراكم وناتج عن جهود الإنتاج السابقة. ويأتي بعد ذلك إسهام "كارل ماركس" (١٨١٨-١٨٨٣م) الذي يتعامل مع رأس المال بوصفه القيمة الفائضة الناتجة عن استغلال العمال المأجورين، فرأس المال ليس في حد ذاتهِ وسيلة للإنتاج، بل هو علاقة اجتماعية بين الطبقات الرئيسية في المجتمع البورجوازي، وعلاقة استغلال بين مالكي وسائل الإنتاج والعمال المأجورين[٥].

ويُمكن من خلال مُراجعة الفكر الماركسي حول مفهوم رأس المال التأكيد على جوهر رؤية "ماركس" لرأس المال في العناصر التالية[٦]:

أ- يرتبط رأس المال بشكلٍ وثيق بإنتاج وتبادل السلع. والسلع في نظريات "ماركس" تكون بشكلٍ أساسي بضائع مادية لها بطاقات للسعر، والعمل والقوة العاملة وقيمة العمل هي جزءٌ من بطاقة السعر.

ب- يتضمن رأس المال مجموعة عمليات متنوعة، فهو ليس بالبساطة التي نرى بها السلعة، حيث أنه يمثل عملية استثمار من جانب الرأسمالي فالإنتاج يتطلب تجميع وتنظيم العمل، والأرض، والأجور، والأجهزة والمعدات وغير ذلك.

ت- نتيجة لهذه العمليات، يكون أي رأس مال ناتج عبارة عن قيمة مضافة (فائض القيمة أو الربح)، ووجود رأس المال يعنى أن قيمة السلعة في السوق أعلى من قيمة إنتاجها أو تكلفة إنتاجها.

ث- يُعد رأس المال مفهومٌ اجتماعي، حيث يستلزم عمليات ونشاطات اجتماعية، فعملية الإنتاج تستلزم العديد من الأنشطة الاجتماعية، فعلى سبيل المثال يصف "ماركس" قيمة الاستخدام على أنها تعتمد على "العمل الضروري اجتماعياً" "Socially Necessary Labor"، وعملية التبادل أيضاً هي في جوهرها عملية اجتماعية.

ج- يحصل الرأسمالي على رأس المال، أو العائد من عملية تداول السلع، عبر دورة إنتاج وتبادل السلعة وتراكم رأس المال. ويُعد رأس المال عملية ونتيجة نهائية، ويتركز تحديداً في أيدي هؤلاء الذين يتحكمون في وسائل الإنتاج.

وتعكس الرؤى السابقة فكرة أساسية جوهرها أن رأس المال هو استثمار الموارد المتاحة بهدف إنتاج الربح، وأن الماركسية أكدت على أن كل من الاستثمار والربح هما منوطين وراسخين للرأسماليين، ولا يؤدى العمل المتضمن في عمليات الإنتاج إلى تراكم رأس المال لدى العمال، ولهذا فإن التباين الطبقي شئ أساسي في المجتمعات الرأسمالية، حيث أن الرأسمالي يتحكم في وسائل الإنتاج، ويجمع ما يتم إنتاجه من فائض القيمة الناتج عن هذا العمل.

ولقد جاء التطور الذي شهده مفهوم رأس المال بعد ذلك ليحذف أو يُعدل جوهرياً التفسير الطبقي كتوجه نظري ضروري، وهذا التطور يتجسد على نحو واضح في رؤية "بورديو" Bourdieu لمفهوم رأس المال، والتي تتلخص في أن رأس المال يُشير إلى تراكم العمل في شكله المادي أو شكله المُنتج المُجسد، والذي عندما يحوزه فرد أو جماعة يُمكنهم من إمتلاك

قوة اجتماعية Social Energy بصورتها المادية أو الاجتماعية (الحياتية)، ويُمثل رأس المال بهذا المعنى قوةً ذات بنى ذاتية وموضوعية. وبنية توزيع الأشكال الرئيسية والفرعية لرأس المال في لحظة معينة تعكس وتجسد بنية العالم الاجتماعي، حيث أن رأس المال وأشكاله المختلفة ووظائفه داخل العالم الاجتماعي تكون محكومة بمجموعة من الكوابح Constraints[*]. التي يشملها العالم الاجتماعي، تلك الكوابح التي تحكم وظائف رأس المال بطريقة مستمرة، وتُحدد فرص النجاح للممارسات المختلفة المرتبطة به[٧].

ويُحدد هذا التعريف ثلاث سمات أساسية مميزة لمفهوم رأس المال، هي[٨]: أن رأس المال لا يكون بالضرورة في صورة مادية أو مالية فحسب.

١- هُناك أشكالٌ متعددة لرأس المال، منها المادي الذي يُطلق عليه رأس المال الاقتصادى، وهناك الغير مادي والذي يتمثل في رأس المال الاجتماعي، ورأس المال الثقافي، وغير ذلك من الأشكال العديدة لرأس المال.

٢- يمكن تحويل رأس المال من شكل إلي آخر، طبقاً لمبدأ تحويل الطاقة الاجتماعية وتبدلها.

وعمل " بورديو" بهذه الرؤية على تعديل التوجه النظري المرتبط برأس المال ونقله من توجه قائم على الطبقة (حيث يتم استثمار رأس المال وتراكمه بواسطة الطبقة البورجوازية فقط) إلى رؤية مبنية على الفاعل الفرد (حيث أن الفاعلين سواءٌ كانوا أفراداً أو مجتمعات يستثمرون ويراكمون مثل هذه الموارد)[٩]. وهذا التحول الذي حدث في التعامل مع مفهوم رأس المال ينسحب على نحو واضح ليشمل الأشكال المختلفة لرأس المال، والتي تزايد الحديث عنها في العقود الخمسة الأخيرة ومنها؛ رأس المال البشرى، ورأس المال الاجتماعي، ورأس المال الثقافي.

(٢) مفهوم رأس المال البشرى :

يُشير مفهوم رأس المال البشرى إلى المعرفة والمهارات والاتجاهات التي تكون متضمنة ومتجسدة داخل الأفراد، وقد كان "آدم سميث" من الأوائل الذين تناولوا البشر على ضوء مفهوم رأس المال، فلقد تصور ونظر إلى قدرات مواطني الدولة على أنها جزءٌ من رأسمالهم المتوفر. ورأس المال البشرى المتجسد في شكل المعرفة والمهارات والاتجاهات يُمكن أن يُنتج فوائد ومنافع للمجتمع والفرد، حيث أن الأفكار الجديدة المبنية على المعرفة يمكن أن تُغير طريقة أداء الأفراد للمهام مما يُسهل عليهم تحقيق العوائد والمغانم لأنفسهم، إضافة إلى تحقيق مغانم عامة[١٠].

وعلى الرغم من أن "آدم سميث" هو أول من تحدث عن جوهر فكرة مفهوم رأس المال البشرى، إلا أن هُناك من يُشير إلى أن "تيودور شولتز" Thedore Schultz هو مؤسس نظرية رأس المال البشرى، وأن "جاكوب ماينسر" Jacob Mincer هو أول من استخدم هذا التعبير عام ١٩٥٨م[١١].

وتتلخص فكرة "شولتز" عن مفهوم رأس المال البشرى في أنه يُشير إلى المهارات والمعارف المُفيدة التي يكتسبها الأفراد، والتي لم ينظر إليها من قبل على أنها تُمثل شكلاً من رأس المال، وينتج جزءاً منه عن استثمار مخطط، والسمة المميزة لرأس المال البشرى، هو أنه جزءٌ من البشر لا ينفصل عنهم، لذا يوصف بأنه بشري، وهو رأس مال لأنه مصدر لإشباع الحاجات، وتحقيق المكاسب في المستقبل أو كلاهما[١٢].

ويذهب " كولمان " Colman إلى أن رأس المال البشرى هو رأس المال المتضمن في مهارات الفرد، وما يمتلكه من خبرات. ونفس هذا المعنى يؤكده باحث آخر بقوله أن رأس المال البشرى هو معارف الشخص ومهاراته وخبراته، والتي يتم اكتسابها من خلال تنمية مهارات الفرد وقدراته، الأمر الذي يساعده على تطوير مستوى أدائه[١٣].

ويُعد رأس المال البشرى وفق الطرح السابق مفهوماً مهماً، لأنه يرتبط بكل من الأفراد والمجتمع، ومن خلال تنمية رأس المال البشرى يُمكن للأفراد أن يطوروا من قدراتهم، وذلك بهدف تحقيق أكبر رصيد من المنافع لهم وللآخرين، ومن خلال التعليم والتدريب – كمصادر رئيسية لرأس المال البشرى – يمكن للأفراد التفكير والعمل بأساليب جديدة، وقد يُمكنهم هذا من الوصول إلى امتيازات اقتصادية ومهنية، لأن هناك علاقة ارتباطيه بين التحصيل، والإنجاز التعليمي، والتدريب، والمركز الاجتماعي، والمهنة ذات العوائد الاقتصادية المرتفعة. فضلاً عن ذلك فإن الأفراد أصحاب المستويات العالية من رأس المال البشرى هم في الأساس أعضاء في المجتمع، ولاشك في أن قدراتهم ومهاراتهم هذه سوف تعمل على تراكم المنافع والفوائد على مستوى المجتمع، فتنمية أساليب التفكير العلمي لدى أفراد المجتمع وامتلاكهم المهارات العلمية الفاعلة في أداء الوظائف والأعمال، ويساعد كل هذا على تنمية المجتمع وتطوره[١٤].

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن "نان لين" Nan Lin يعتبر رأس المال البشرى من النظريات الحديثة لرأس المال بسبب تخليها عن العلاقات الاجتماعية ودورها في الإنتاج والاستهلاك، وهذا يُعد اختلاف راديكالي عن بنية الفرضية الأساسية في النظريات الكلاسيكية لرأس

المال[١٥]. وإن كان ليس هناك اختلافاً جوهرياً في تعريف رأس المال المرتبط بالمفهوم الماركسي، ويظل هو استثمار ذو عائدات متوقعة في ساحة السوق، ومن وجهة النظر الماركسية هذه القيمة المضافة (المعرفة، والمهارات، والتعليم) تُمكن الرأسمالي (صاحب العمل) من زيادة قدرة العمل وسعته، ونتيجة لذلك تزيد قيمة السلعة في السوق، واستثمار العمال في رأس مالهم البشرى سوف يمكنهم من[١٦]:

أ- توفير دخل يمكن أن يُستخدم للاستثمار في الأنشطة التي تؤدي إلى تراكم رأس المال لدى العمال، أو لدعم رفاهيتهم واحتياجاتهم، وفقاً لأساليب حياتهم.

ب- توفير رأس المال، الذي يمنح العمال القدرة على الإدخار.

ثانياً : مفهوم رأس المال الاجتماعي :

أصبح مفهوم رأس المال الاجتماعي[*].Social Capital خلال السنوات الأخيرة، أحد أهم نتاجات النظرية الاجتماعية، والتي اخترقت لغة الحياة اليومية، ولقد تطور مفهوم رأس المال الاجتماعي خلال هذه السنوات نظراً لذيوع استخدامه في العديد من المجالات العلمية، والسياسية، والاجتماعية، إلى الحد الذي يتم معه طرح هذا المفهوم كآلية علاجية جديدة للعديد من الأمراض الاجتماعية والمجتمعية، ولقد أسفر هذا الذيوع والاستخدامات المتعددة عن وضع هذا المفهوم وما يحمله من مضامين تحت اختبارات شديدة وعميقة[١٧].

ويُؤكد "بورتس" Portes على أنه بالرغم من الشهرة التي حققها مصطلح رأس المال الاجتماعي، إلا أنه لا يتضمن بالفعل أي فكرة جديدة بالنسبة لعلماء الاجتماع، فالمشاركة والاندماج مع الجماعات وما قد يترتب على وجودهما من تداعيات إيجابية على الفرد والمجتمع هي فكرة رئيسة وأصيلة الوجود في الفكر الاجتماعي، وقد يمكن تلمسها في أفكار "دور كايم" عندما أكد على الحياة الجماعية كترياق وعلاج لمخالفة القواعد الاجتماعية، وترجع أيضاً إلى تمييز "كارل ماركس" بين الطبقة الذاتية والطبقة التعبوية[١٨].

ومن خلال محاولة الباحث لتتبع تطور مفهوم رأس المال الاجتماعي تاريخياً، وجد إشارة "لبوتنام" Putnam تُفيد بأن هناك مُصلح اجتماعي اسمه "جودسون هانيفان"Judson Hanifan يُؤكد أن معظم المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخطيرة التي تعاني منها المجتمعات الرأسمالية التي عاش فيها، كان يُمكن حلها فقط بواسطة تقوية شبكات التضامن بين مواطنيها، حيث كان أفراد تلك المجتمعات أقل اهتماماً بعادات ومعايير مهمة؛ كحق الجوار، والحياة الجمعية، والمشاركة والمساندة الاجتماعية، ولذلك أجرى عام ١٩١٦م

بحثاً عن أهمية المشاركة المجتمعية لدعم ومساندة الديمقراطية والتنمية، وصاغ مصطلح رأس المال الاجتماعي. ولقد ذهب "جودسون" في بحثه هذا إلى أن رأس المال الاجتماعي لديه ليس هو ملكية عقار أو منقولات وأمتعة عينية، ولكن يقصد به المهارات الاجتماعية التي تتطلبها الحياة، والتي تجعل هذه الموارد المادية تعمل لصالح تحقيق الأفضل للحياة اليومية للأفراد، وهي بالتحديد؛ الرضا، والوفاق، والصحبة، والعطف، والتلاحم، والمواساة، والمخالطة الاجتماعية بين الأفراد والأسر. فالفرد يُصبح يائس اجتماعياً إذا تُرك لنفسه، ولكن إذا ما اتصل بجاره وارتبط بهؤلاء الجيران وغيرهم، فإنه سوف يراكم لنفسه رأس مال اجتماعي يُساعده على إشباع احتياجاته، ويكتسب قدرة اجتماعية كافية لتحسين ظروفه المعيشية وتقدمها[١٩].

أما "فوكوياما" Fukuyama فقد أكد على أن الاستخدام الأول لمفهوم رأس المال الاجتماعي، كان قد ظهر في أحد أعمال "جان جاكوب"Jane Jacob، والذي يحمل عنوان "موت وحياة المدن الأمريكية الكبرى" والذي صدر عام ١٩٦١م، حيث أوضح "جاكوب" في هذا الكتاب كيف أن الشبكات الاجتماعية في المجاورات القديمة لبعض المدن، قد شكلت نمطاً لرأس المال الاجتماعي، وأن هذه الشبكات لعبت دوراً في تقليل جرائم الشارع، وزيادة فاعلية المؤسسات الرسمية[٢٠].

وعلى عكس الخلاف القائم بين الباحثين حول الاستخدام الأول لمفهوم رأس المال الاجتماعي، هناك شبه اتفاق بين مختلف الباحثين على أن أول تحليل علمي منظم ومعاصر لمفهوم رأس المال الاجتماعي أنتجه "بيير بورديو" والذي عرف رأس المال الاجتماعي بأنه إجمالي الموارد الفعلية التي يحوزها الفرد من خلال ملكيته لشبكة دائمة من العلاقات المؤسسية أو عضوية الجماعات، فالجماعة تزود كل عضو من أعضائها بقدر مشترك من رأس المال، أي أن هذه العضوية في الجماعات تُمثل كارت ائتمان يمد كل عضو داخل الجماعة برصيد من هذا الائتمان المشترك فيما بين أعضائها. ولقد أكد "بورديو" على أن وجود شبكة من العلاقات لا يعد هبة طبيعية أو حتى هبة اجتماعية، فشبكة العلاقات الاجتماعية هي نتاج لخطط الاستثمار –الفردي أو الجماعي– التي تهدف إلى إنتاج وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية التي يُمكن استخدامها مباشرة على المدى القصير أو الطويل في تحويل العلاقات العارضة غير المباشرة (مثال علاقات الجيرة، وزمالة العمل) إلى علاقات تبدو مُهمة ومباشرة وقوية، وتضمن دوامها واستمراريتها وتنمية المشاعر الداخلية فيها والمرتبطة بالامتنان والاحترام

والصداقة، ويتم إنتاج هذه العلاقات باستمرار من خلال التبادل (للهدايا والكلمات ...الخ) الذي يشجع على التعارف والإدراك المتبادل[٢١].

ويتضمن تعريف "بورديو" لرأس المال الاجتماعي عنصرين مهمين هما[٢٢]:

أ- العلاقات الاجتماعية، والتي تسمح للأفراد الإعلان عن الوصول إلى الموارد المملوكة لشركائهم وزملائهم في هذه العلاقة.

ب- الموارد التي وصل إليها الأفراد ونوعيتها وجودتها.

ولقد سار العديد من الباحثين على هدّى تعريف "بورديو"، ولهذا ظهرت العديد من المحاولات التي تُؤكد على شبكة العلاقات الاجتماعية في سياق تعريف رأس المال الاجتماعي، ففي موسوعة علم الاجتماع تم تعريف رأس المال الاجتماعي على أنه شكلٌ من أشكال رأس المال الموجود داخل العلاقات الاجتماعية ما بين الأفراد، ومن خلال رأس المال الاجتماعي وموارده يُمكن للأفراد أن يُحققوا منافعهم[٢٣].

ويذهب مجموعة من الباحثين إلى أن رأس المال الاجتماعي هو المجموع الفعلي للموارد التي يُمكن أن تُحدث حراك للأفراد داخل البنية الاجتماعية، وتكمن هذه الموارد في العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الأفراد[٢٤].

ويشير "باكستون" Paxton إلى أن رأس المال الاجتماعي هو مجموع العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد، وتسهل له إنتاج البضائع الاقتصادية وغير الاقتصادية[٢٥]. أما "ريكاردو" Ricardo فيذهب إلى أن رأس المال الاجتماعي هو العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد، والتي من خلالها يمكن له أن يصل إلى نماذج وموارد متعددة للاتصال بالمؤسسات التي تدعمه في المجتمع، وهذا يتضمن اكتساب المعرفة بالاعتماد على مصادرها[٢٦].

أما "نان لين" فيذهب في تعريفه لرأس المال الاجتماعي إلى أنه استثمار واستخدام للموارد الكامنة في العلاقات الاجتماعية، والتي من المتوقع أن يعود استثمارها على صاحبها بالمنافع والأرباح الاجتماعية. ويتم هنا فهم رأس المال الاجتماعي، كالتالي[٢٧]:

١- مقدار الموارد ونوعيتها وفاعليتها، التي يمكن للفاعل الوصول إليها أو استخدامها (سواء أكان الفاعل فرد، أم جماعة، أم مجتمع محلى).

٢- موقع رأس المال الاجتماعي وهذه الموارد في الشبكة الاجتماعية.

ويُعلق "بورتس" على مُجمل المحاولات السابقة والتي تعتبر رأس المال الاجتماعي هو القدرة على حيازة الموارد من خلال العلاقات والشبكات الاجتماعية، والتي هي أكثر انتشاراً وشيوعاً،

بأنها تتضمن عدة مشكلات منها[٢٨]:

أ- الخلط الواضح بين القدرة على الوصول إلى الموارد، والموارد ذاتها، فوصول الفرد إلى الموارد لا يعنى بأي حالٍ من الأحوال الحصول على نتيجةٍ إيجابية، أو تحقيق مغانم.

ب- يُؤكد المفهوم من خلال استخداماته لدى العديد من الباحثين على النتائج الإيجابية للصلات والروابط الاجتماعية، وإبعاد وطرد العوائد غير المرغوبة.

ت- تُهمل هذه الرؤية الدوافع التي تقف خلف الأفراد في سياق عملية التبادل، كما تهمل التحليل النظري لها.

ولا تغفل الأدبيات المرتبطة برأس المال الاجتماعي جهود "جيمس كولمان" Colman في تطوير هذا المفهوم ونشره، ولقد أشار "كولمان" إلى أنه من الممكن تعريف رأس المال الاجتماعي من خلال وظائفه، فهو لا يُمثل وحدة مفردة، بل وحدات متعددة تشترك جميعها في عنصرين متشابهين؛ الأول: أنها تتضمن بعض مظاهر البناء الاجتماعي، والثاني: أنها تُسهل عملية إتمام الأفراد لبعض الأفعال. سواء كانوا أشخاصاً منفردين، أم فاعلين مترابطين داخل بناء معين، ومثال الأشكال الأخرى من رأس المال يتسم رأس المال الاجتماعي بالإنتاجية، فهو يسهل من عملية إنجاز الغايات والأهداف، والتي ربما في غيابه يكون ذلك أمراً صعباً، ومثال رأس المال البشرى، يختص رأس المال الاجتماعي ببعض الأنشطة وليس جميعها، ورأس المال الاجتماعي قد يكون له قيمة في إنجاز بعض الأهداف لدى بعض الفاعلين، وقد لا يكون كذلك، أو قد يكون غير ذي أهمية بالنسبة للآخرين، وبخلاف الأشكال الأخرى من رأس المال، يرتبط رأس المال الاجتماعي ببنية العلاقات ما بين فردين أو أكثر داخل المجتمع، بمعنى أن رأس المال الاجتماعي متأصل وموجود داخل بنية العلاقات الاجتماعية[٢٩].

ولقد طرح " كولمان " أشكالاً عديدة لرأس المال الاجتماعي، وهي على النحو التالى[٣٠]:

١- الالتزامات والتوقعات : Obligations and Expectations

إذا فعل (A) شيئا ما إلى (B) ووثق أن (B) سوف يبادله ذلك أو يرده له في المستقبل، فإن ذلك يؤسس توقع عند الفرد (A)، والتزام من جانب الفرد (B) للحفاظ على هذه الثقة. ويتوقف هذا الشكل على مدى توافر الثقة في البيئة الاجتماعية ومستواها، والذي يتضمن قناعة الفرد بأن الالتزامات التي يؤديها سوف تُرد له.

٢- حيازة المعلومات : Information Potential

هناك شكل مهم من أشكال رأس المال الاجتماعي، وهو الحصول على المعلومات وحيازتها،

تلك المعلومات الموجودة والكامنة في العلاقات الاجتماعية، وهذه المعلومات تكون مهمة في توافر أساس للفعل.

٣- الأعراف والجزاءات الفعالة : Norms and Effective Sanctions

عندما يُوجد العرف بشكل فعال فإنه يمنح سلطة شرعية وقوة كبيرة لرأس المال الاجتماعي، فالأعراف الفعالة تحد على سبيل المثال من معدلات الجرائم الليلية في شوارع المدينة، وتُمكن الأفراد من أن يعيشوا داخل منازلهم ولديهم إحساس بالأمان. وهذا الشكل من رأس المال الاجتماعي لا يُسهل أفعال معينة فحسب، ولكن أيضاً يُقيد أفعالاً أخرى أو يمنعها.

ولقد انتقد "بورتس" إسهام "كولمان" حول رأس المال الاجتماعي، وذكر أنه استخدم تعريفاً غامضاً إلى حدٍ ما، وترتب على هذا أن "كولمان" قد فتح الطريق أمام عنونة عدد من العمليات المختلفة والمتناقضة أحياناً على أنها رأس مال اجتماعي. وأشار "بورتس" إلى ضرورة أن يكون هناك خطٌ فاصل ما بين عضوية البنية الاجتماعية من ناحية، والموارد المكتسبة عبر مثل هذه العضويات من ناحية أخرى. كما أوضح "بورتس" أيضاً أن "كولمان" قد ركز على أهمية الصلات العميقة، مع إهماله للصلات الضعيفة التي قد تُبرهن على أنها فعالة أكثر من الصلات العميقة في توفير المعرفة والموارد الجديدة. فضلاً عن ذلك يبدو أن النظرية عند "كولمان" قد أدت إلى تكوين مفهوم عضوي ومحافظ نوعاً ما من رأس المال الاجتماعي[٣١].

وينظر "روبرت بوتنام" -الذي يُعد من أهم العلماء الذين روجوا لمفهوم رأس المال الاجتماعي، كما يُعد المسئول عن دخول المفهوم إلى دائرة الخطاب السياسي، ونشره عبر دوائر واسعة[٣٢]. - إلى رأس المال الاجتماعي بوصفه سمات للتنظيم الاجتماعي – مثال الشبكات، والمعايير والثقة الاجتماعية – والتي تُسهل عمليات التنسيق والتعاون بين الأفراد من أجل تحقيق المنفعة المتبادلة[٣٣].

ولقد أشار "بورتس" إلى أن أعمال "بوتنام" حول رأس المال الاجتماعي كان لها أكبر الأثر في نقل دراسة رأس المال الاجتماعي من المستوى الفردي إلى المستوى المجتمعي، وقد تمخض عن ذلك اختلافات في استخدام مفهوم رأس المال الاجتماعي، حيث أن عملية نقل المفهوم من المستوى الفردي إلى المستوى المجتمعي لم يتم تأطيرها نظرياً، مما ترتب عليه مزيد من الارتباك والغموض حول المفهوم، كما أن الآثار المترتبة على رأس المال الاجتماعي كسمة مجتمعية لم يتم تحليلها بالشكل الكافي، مما أدى إلى وجود نسبةٍ عالية من الأفكار الاستنتاجية أو غير المباشرة[٣٤].

ومن خلال تتبع الباحث لحركة مفهوم رأس المال الاجتماعي خلال الدراسات الإمبيريقية لاحظ أن هناك تعدد وتباين واضح في مؤشرات قياس رأس المال الاجتماعي، ومن هذه المؤشرات؛ شبكة العلاقات الاجتماعية، وعضوية المؤسسات والجمعيات، ومستويات الثقة الاجتماعية، والتعاون والتبادل داخل السياق الاجتماعي، وغيرها، وقد يُعزى هذا التباين إلى حدٍ ما إلى ارتباط رأس المال الاجتماعي بالعديد من الموضوعات والظواهر الاجتماعية، من ناحية، وللاختلاف الواضح في تعريفات رأس المال الاجتماعي، من ناحية أخرى، فعلى الرغم من هذا الانتشار الهائل لمفهوم رأس المال الاجتماعي في مختلف أدبيات البحث، إلا أن هذا المفهوم مازال غير متفق عليه وعلى حدوده داخل هذه الأدبيات، وقد اعترف "بوتنام" بذلك وأشار إلى أن فهم مصطلح رأس المال الاجتماعي غير واضح، وأن هناك أيضاً من أشار إلى أن رأس المال الاجتماعي كمفهوم يجسد وجهات نظر الفروع المتعددة للمعرفة[٣٥].

ولا يقتصر التباين والتعدد على آليات قياس رأس المال الاجتماعي، بل يمتد ليطول الآلية الواحدة، فعلى سبيل المثال تُعد الشبكات الاجتماعية من أهم المؤشرات التي تم استخدامها لدراسة رأس المال الاجتماعي، ومع هذا فإن الدراسات التي اعتمدت على الشبكات جسدت وجهات نظر مختلفة فيما يتصل بنوع الشبكات التي يتم أخذها في الاعتبار عند دراسة رأس المال الاجتماعي، فهناك دراسات ركزت على الجماعات الرسمية داخل الشبكات، وأخرى ركزت على الجماعات غير الرسمية، وهناك مجموعة أهملت ذلك وركزت على حجم الشبكات، حيث التركيز على الجماعات الصغيرة التي تعتمد على علاقات الوجه للوجه، وهناك من أشار إلى أنه كلما زاد حجم الجماعة وبالتالي اتسعت الشبكة الاجتماعية، كلما زادت التنافسية، وهذا ما يعمل على تعظيم الفوائد للأفراد، وأخيراً عكست الدراسات السابقة اختلاف واضح حول نوعية العلاقات داخل الشبكات، فهناك من يُركز على العلاقات القوية، والتي من شأنها زيادة أرصدة رأس المال الاجتماعي، وهناك من يطرح فكرة الروابط الضعيفة ودورها في تسهيل الفعل الجمعي، وبالتالي زيادة الفوائد المترتبة على هذا الفعل[٣٦].

كما أن هناك تعدد في مستويات قياس رأس المال الاجتماعي، فهناك عدد من الدراسات تحاول تطبيق رأس المال الاجتماعي وقياسه على مستوى الأفراد، وهناك دراسات ثانية تستخدم رأس المال الاجتماعي على مستوى الجماعات، وثالثة تطبق رأس المال الاجتماعي على مستوى المجتمع القومي، بل أن هناك دراسات اعتبرت رأس المال الاجتماعي مفهوم يمكن الاعتماد عليه في مجالات التنمية القومية، ولعل هذا يرجع إلى أوجه القصور التي تضمنها

المنظور الاقتصادي في نظرته نحو تحقيق الأهداف الأساسية للتنمية من نمو اقتصادي، ومساواة، وديمقراطية، والأكثر من ذلك هو اعتبار رأس المال الاجتماعي بما يحمله من مضامين وأفكار، محاولة لإعادة تقديم وإدخال البعد الاجتماعي في الرأسمالية، وأنه آلية علاج سريعة للتآكل الملحوظ للثقة في العلاقات اليومية، ولذلك ليس من الغريب في شئ أن يكون "فوكوياما" الذي احتفل في أطروحة "نهاية التاريخ" بالانتصار النهائي للرأسمالية، هو ذاته أحد المفسرين البارزين لمفهوم رأس المال الاجتماعي وما يحمله من فضائل اجتماعية ينبغي العودة إليها[٣٧].

ومن خلال مراجعة الدراسات التي حاولت دراسة وتطبيق رأس المال الاجتماعي في مستويات متعددة، يمكن التأكيد على أن الدراسات التي ربطت ما بين رأس المال الاجتماعي والأفراد أو الجماعات، هي الدراسات الأكثر وضوحاً ودقة في التعامل مع رأس المال الاجتماعي، سواء كان ذلك على مستوى تعريفات المفهوم، أو آليات قياسه، وفي هذا السياق يأتي إسهام "بورديو" النظري والإمبيريقي من أهم الإسهامات التي ارتبطت برأس المال الاجتماعي وتطبيقاته على المستوى الفردي[٣٨].

وتؤكد معظم نتائج الدراسات السابقة على العوائد الإيجابية لرأس المال الاجتماعي، سواء كانت هذه العوائد على المستوى الفردي، أم على المستويين القومي والعالمي، ومن ضمن هذه العوائد الإيجابية :

١- أن رأس المال الاجتماعي يدعم مكانة الفرد داخل البنية الاجتماعية، ويُساهم في تحقيق الأهداف الفردية، والوصول إلى الموارد التي يمكن أن تمنح الفرد القوة والتميز.

٢- يُسهل رأس المال الاجتماعي عملية اتخاذ القرارات، لأن أعضاء المجتمع لا يحتاجون إلى إعادة التبادل والتفاوض في كل وقت يدخلون فيه إلى نشاط مشترك، فهم يثقون في بعضهم البعض.

٣- يُقلل رأس المال الاجتماعي من مستويات الغموض والشك ما بين أعضاء الجماعات، أو على الأقل يزيد من مساحات التسامح ما بين الأفراد.

٤- يُسهل رأس المال الاجتماعي عمليات التنسيق والتنظيم للأفراد، وذلك بسبب ارتباطه بعملية الاتصال الفعال والمتكرر بين أعضاء المجتمع.

٥- يعنى رأس المال الاجتماعي أن هناك مشاركة واسعة في رأس المال المادي والبشرى بين أعضاء الجماعة، وذلك يسمح بإنتاجية أكبر، ونفقات منخفضة.

٦- يُخفف رأس المال الاجتماعي من احتمالات الفشل أو الخُسارة.

ويتعارض ما سبق مع بعض إشارات مجموعة من العلماء إلى العوائد السلبية لرأس المال الاجتماعي، حيث أن مثل هذه الإشارات لم يجد لها الباحث أي تدعيم أو تأكيد من خلال قراءة نتائج البحوث السابقة.

وقد عكست الدراسات السابقة أيضاً تنوع في أدوات جمع البيانات ومصادرها، وهذا ارتبط بالتنوع في المستوى الذي يتم فيه دراسة رأس المال الاجتماعي، ومن ناحية ثانية بالتنوع في الرؤى الإجرائية الخاصة بمفهوم

رأس المال الاجتماعي ومؤشرات قياسه، وقد كانت المقابلات، والمسح من أهم الأدوات التي تم الاعتماد عليها في جمع البيانات المتصلة برأس المال الاجتماعي، كما أن معظم هذه الدراسات اعتمدت على المنهج الكيفي في تحليل البيانات وتفسيرها.

وعلى الرغم من تعدد المتغيرات والظواهر الاجتماعية التي ربطها الباحثون برأس المال الاجتماعي، لم تكن هناك أي دراسة ربطت بشكل واضح ما بين رأس المال الاجتماعي وتحقيق التميز أو النُخبوية في المجتمع، كانت معظم التحليلات والتفسيرات التي عرضت لها هذه الدراسات تحمل في ثناياها اعتراف وتأكيد على أن رأس المال الاجتماعي آلية فعالة في تحقيق التميز والوصول إلى المكانة الاجتماعية المرموقة، وهذه الأفكار التي لم تظهر بوضوح في الدراسات الإمبيريقية، كانت واضحة تماماً لدى العديد من العلماء على مستوى التنظير، ويمكن أن نستشهد على ذلك من خلال الطرح النظري الخاص بكل من "بيير بورديو"، و"نان لين"، فالأول اعتبر رأس المال الاجتماعي أو غيره من الأشكال الأخرى طاقة اجتماعية يُمكن أن تُستخدم في تحقيق التميز والمنافسة، أما الثاني فلقد توسع بشكلٍ كبير في طرحه الخاص برأس المال الاجتماعي وتحقيق المكانة الاجتماعية[٣٩].

إضافة لذلك غابت عن مُجمل الدراسات فكرة دراسة رأس المال الاجتماعي على ضوء الأشكال الأخرى من رأس المال، أو بمعنى آخر أغفلت معظم الدراسات فكرة التحقق الإمبيريقى من فاعلية أشكال رأس المال، وأيها هو الأكثر سيولة وفاعلية من الأشكال الأخرى، ولعل هذه الفكرة هي من إحدى أهداف الدراسة الراهنة.

بناءً على ما سبق، يُمكن تعريف مفهوم رأس المال الاجتماعي بأنه : جُملة الموارد التي يُمكن أن يحوزها الفرد بشكل مباشر من خلال شبكات العلاقات الاجتماعية (الرسمية، وغير الرسمية)، أو يحوزها بشكلٍ غير مباشر من خلال شبكات العلاقات الاجتماعية للأفراد

الآخرين، والتي يمتلك الوصول إليها، ويبذل الوقت والجهد في تدوير هذه الموارد بهدف تحقيق المكانة الاجتماعية المتميزة.

ثالثاً : مفهوم رأس المال الثقافي :

على الرغم من أن "بورديو" هو من صاغ مفهوم رأس المال الثقافي Cultural Capital، إلا أن فكرة الثقافة التي تُمثل مصدراً من مصادر المكانة والقوة، كانت موجودة ومتأصلة في النظرية الاجتماعية، خاصةً الفكر المرتبط بالطبقات في أعمال كل من "ماكس فيبر" و"إميل دور كايم". فلقد كتب "فيبر" بشكلٍ موسع حول ما أطلق عليه جماعات المكانة Status Groups، ويقصد بهم الأفراد الذين تجمعهم ثقافة المكانة الواحدة أو المشتركة، أي الذين يمتلكون نفس الهوية والقيم والأذواق الجمالية، وأشكال الزى، والخطاب ... الخ، ويعد ذلك بالنسبة لهم مصدراً للشرف والتميز والتكريم، وأكد "فيبر" هُنا على أن أي معيار للتباين والتميز مهما كان بسيطاً يُمكن أن يُفيد كأساس في تشكيل جماعة المكانة، وهذا التأكيد من قبل "فيبر" يظهر صداه لدى "بورديو" في استخدامه لمفهوم الاستبداد أو التعسف الثقافي Cultural Arbitrary لوصف رأس المال الثقافي، كذلك وفر "فيبر" وصفاً وبياناً كلاسيكياً عن الدراسات الصينية التي ألقت الضوء على وصف "بورديو" للمتخصص المحترف الذي يستثمر رأس المال الثقافي بقوة كأساس للمطالبة والادعاء بمكانة النُخْبة. والشئ المحوري لدى " فيبر" هو أن جماعات المكانة تستخدم كوسيلة للحفاظ على الحدود والفواصل القوية ضد الدخلاء، وذلك بهدف احتكار الموارد النادرة والفرص المتاحة بالسوق[٤٠].

ومن الفكر الدوركايمى اشتق " بورديو" فكرة أن الثقافة ذات المركز الاجتماعي والمكانة الرفيعة لها سمة القدسية، أي أنها تنأي بنفسها عن العالم الواقعي اليومي، كما أنها تُشكل مجموعة الرموز الثقافية التي تُمثل قوة الجماعة بأسلوب مادي وجذاب ومقنع.

وجوهر مفهوم رأس المال الثقافي لدى "بورديو"، من خلال استخداماته لهذا المفهوم في أعماله عن فرنسا المعاصرة، هو معرفة الفرد بالثقافة الجمالية المتميزة ذات المركز الاجتماعي الرفيع وإدراكه لعناصرها، مثال ذلك الفنون الرفيعة، والثقافة الأدبية، والقدرة اللُغوية، ويذهب "بورديو" إلى أن رأس المال الثقافي يتمثل في ثلاثة أشكال هي[٤١]:

الأول: الحالة المادية المتحدة أو المجسمة: وهي الحالة التي تتعلق بترتيب وتنظيم العقل والجسد، وهي تتطلب من الفرد بذل الوقت والجهد بهدف تكوين ومراكمة رأس المال الثقافي، ويبذل الفرد هنا الوقت والمجهود، وذلك من أجل الارتقاء الذهني والاستيعاب، ويبين هذا أن

عملية اكتساب رأس المال الثقافي تُعد عمل شخصي أو تنمية ذاتية، ومجهود يبذله الشخص أو تكاليف شخصية يدفعها الفرد بنفسه لنفسه، وهذا الشكل من رأس المال الثقافي يُمثل ثروة خارجية، تتحول مع الوقت والجهد إلى جزء يتحد في الفرد ويُكون هويته، ولا يُمكن نقل هذا الشكل سواءٌ بالمنح، أو الوراثة، أو الشراء، أوالمبادلة.

الثاني: وهو الحالة الموضوعية، مثال البضائع الثقافية (الصور، الكتب، والقواميس... الخ)، ويعني هذا أن رأس المال الثقافي يتمثل في الأشياء المادية، ولذلك فهو قابل للنقل من حيث ماديته، وهنا يُؤكد "بورديو" على وجود علاقة ما بين هذا الشكل من رأس المال الثقافي ورأس المال الاقتصادى، حيث أن ملكية الفرد لمثل هذه الأشياء المادية تتطلب منه أيضاً ملكية رصيد من رأس المال الاقتصادي، كما أن استخدام الفرد مثل هذه الأشياء المادية يتطلب منه إمتلاك رصيد من رأس المال الثقافي، أو بالأحرى رأس مال ثقافي في شكله الأول، وهي الحالة المادية المتجسدة.

الثالث : وهي الحالة التنظيمية، وهي حالة التكوين العضوي، والتي تُقدم خصائص وسمات رأس المال الثقافي، كما في المؤهلات العلمية، وهذه الأخيرة هي إحدى الطرق لإثبات حقيقة إمتلاك الفرد لرأس المال الثقافي.

وهذه الحالة هي التي تفرق بين رأس المال الخاص بالتعليم الذاتي، ورأس المال الثقافي الخاص بالجماعة الحاكمة، والذي قد يتحصل على فوائد قليلة في سوق التبادل الاجتماعي، ورأس المال الثقافي المقرر أكاديمياً من خلال المؤهلات العلمية المُعترف بها رسمياً، وهذه الأخيرة هي التي تمنح لحائزيها قيمة مضمونة وشرعية، ويُشكل هذا جوهر الاختلاف ما بين المنافسة المعروفة رسمياً وشرعياً، وبين رأس المال الثقافي البسيط والذي يحتاج إلى إثبات ذاته باستمرار.

وفي تقييم أولى لكلٌ من "لامونت" Lamont و "لارو" Lareau لرؤية "بورديو"، فقد أشارا إلى عدم وضوح عبارات "بورديو" ومفاهيمه عن رأس المال الثقافي، حيث أنها غالباً ما تكون غامضة، بل وفي بعض الأحيان متضاربة وتفسيراته لا ترتبط بإشارات خاصة أو مجردة، وهذا بدوره أدى إلى فشل الباحثين في إخضاع نظرية "بورديو" للاختبار الإمبيريقى[٤٢]. وانتهي كل من "لامونت" و "لارو" إلى أن رأس المال الثقافي فكرة مؤسساتية تعنى وجود قدرٌ مشترك من الإشارات والمفاهيم الثقافية بين الطبقات العليا (مثال: المواقف، الميول، المعرفة الرسمية، السلوك، الأهداف، الاعتمادات) المستخدمة في عملية الاستبعاد الثقافي والاجتماعي، وهذا

التعريف يؤكد على أن رأس المال الثقافي مورد له قيمة في السوق الذي ينشأ فيه الصراع من أجل التميز، كما أنه قابل للإدخار والإستثمار، ويمكن استخدامه للحصول على موارد أخرى[٤٣].

ويذهب "ريتزر" إلى أن رأس المال الثقافي يتمثل في قُدرة الفرد على معرفة الأشكال الثقافية المنظمة والمؤسسة، والتي تقع في قمة البناء الهيراركى للنظام الثقافي داخل المجتمع وكيفية استخدامها[٤٤].

وتُشير "إليزابيث سيلفا" Elizabth Silva إلى أن مفهوم رأس المال الثقافي يشير إلى الاستثمار في الثقافة بوصفها رأس المال، يُمكن أن تعود على الفرد بالربح والعوائد، كما يُمكن نقل هذا النوع من رأس المال عبر عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتم داخل الأسرة والنظام التعليمى[٤٥].

ولقد ظهر تأثير "بورديو" بشكلٍ واضح في العديد من المحاولات التي عالجت مفهوم رأس المال الثقافي، فهُناك أحد الباحثين يذهب إلى أن رأس المال الثقافي هو شكل من أشكال رأس المال، يوجد في العديد من الصور أهمها[٤٦]. الاعتياد على تصرفات وسلوكيات معينة، أو من خلال طريقة مميزة للسلوك، يتم اكتسابها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية.

أ- تراكم القيم الثقافية الموضوعية.

ب- التعليم الرسمي والمؤهلات العلمية والتدريبية.

وهُناك من يذهب إلى أن رأس المال الثقافي يشير إلى التعليم، والميول والاستعدادات الدائمة لاستيعاب الثقافة والتثقيف، وهذا يحدث من خلال عملية يُبذل من أجلها الوقت، وهذا الأخير يدل على إستدماج الفرد لعناصر هذا الشكل من أشكال رأس المال، ويُمكن على نحو سهل تحويل رأس المال الثقافي إلى الأشكال الأخرى من رأس المال[٤٧].

وذهب كل من "موهر" Mohr و "دى ماجيو" Dimaggio إلى أن رأس المال الثقافي مفهوم يُشير إلى الأذواق الرفيعة، والأدوات والأساليب الثقافية رفيعة المستوى، والتي تعترف بصلاحيتها الهيئات والمؤسسات الثقافية. ولقد علقت "سوزان" Susan على هذا التعريف بأنه غامض بدرجة كافية، لأنه يسمح بعددٍ واسع من التفسيرات[٤٨].

أما "بورتس" Portes فيُعرف رأس المال الثقافي بأنه أوراق الاعتماد الرسمي للمؤهلات التعليمية التي يمتلكها الفرد، والتكوين المعقد وغير الملموس للقيم والمعرفة الخاصة بالأشكال الثقافية المرتبطة بالسلوك[٤٩].

ولقد أشارت "سوزان" إلى أن تعريفات مفهوم رأس المال الثقافي تسير في عدد من الاتجاهات المتباينة[٥٠]:

الاتجاه الأول: ويُركز على المتغيرات المرتبطة بمدى مشاركة الفرد في الأنشطة الثقافية، مثال: زيارة المتاحف، أو الذهاب لحفلات الموسيقى الكلاسيكية.

الاتجاه الثاني: يُركز على أن رأس المال الثقافي يظهر في شكل تحكُمى، بمعنى أن هناك جماعةٌ ما سعت إلى وجوده وذلك بهدف منع أو إقصاء جماعةٌ أخرى من الحصول على موارد القوة.

الاتجاه الثالث: ركز أصحابه على مقاييس رأس المال الثقافي، التي تعكس المكانة الاجتماعية والاقتصادية بشكلٍ واضح، مثال: عما إذا كان الآباء يوفرون لأبنائهم مكاناً خاصاً للاستذكار، وبعض السمات اللامعرفية مثال ذلك الأسلوب الذي يتبعه الفرد في التواصل والتعامل مع الآخرين.

ومن خلال الدراسات الميدانية يظهر مفهوم رأس المال الثقافي بوصفه الموارد الثقافية، أو البضائع الثقافية التي لها قيمة داخل السوق الاجتماعي، ومن خلالها يمكن للفرد أن يحقق التميز أو يشغل مكانة اجتماعية عالية. وتعد هذه المضامين متفق عليها، وفى المقابل تنبه الباحث من خلال عدد من الدراسات إلى الخلط ما بين رأس المال البشرى المتمثل في القدرات والمهارات الذاتية التي يكتسبها الفرد، ورأس المال الثقافي، وعلى الرغم من أن هذه الدراسات لم تذكر شيئاً عن هذا الخلط أو حتى تبرره، إلا أن الباحث يعتقد أن مثل هذا الخلط مقبول، حيث أن المهارات والقدرات التي يحوزها الفرد ويمتلكها يُمكن اعتبارها رأس مال ثقافي، وذلك في حالة ما قام الفرد بتطوير هذه المهارات من خلال التدريب والتعليم، والاهتمام بالتزود بالمصادر الثقافية التي تجعل من هذه المهارات والقدرات رأس مال حقيقي، سواءٌ كانت هذه المصادر الثقافية جاءت بشكل رسمي ومؤسسي، أو جاءت بشكل غير رسمي[٥١].

ولعل هذه الفكرة التي يطرحها الباحث على عكس حرص "رتزر" Ritzer على التمييز بين رأس المال البشرى ورأس المال الثقافي، حيث أن رأس المال البشرى يتضمن المهارات والمعلومات التي تُسهم في الحراك الاجتماعي للفرد، وهو يعمل داخل الأسواق الخاصة به "سوق العمل"، أما رأس المال الثقافي يعمل عبر التفاعل الاجتماعي، ونادراً ما يكون مُنتج اقتصادي[٥٢]. ويعلق الباحث هنا على رؤية "رتزر" بأنها غير واضحة، فإذا كان رأس المال البشرى يتضمن المعلومات التي يمتلكها الفرد، فإن رأس المال البشرى بهذا لا يبتعد عن التفاعل الاجتماعي، لأن

الفرد قد يحصل على جزء من رصيد المعلومات لديه من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي، إضافة إلى أن رأس المال الثقافي لا يبتعد عن سوق العمل، وهناك إمكانية لتحويل رأس المال الثقافي إلى رأس مال اقتصادي.

وقد لاحظ الباحث أن هناك اتفاقاً على مؤشرات قياس رأس المال الثقافي على مستوى الدراسات الإمبيريقية، ومن أهم المؤشرات التي تم الاعتماد عليها بشكلٍ متكرر؛ عدد الكتب في المنزل وما يرتبط بها من عادات القراءة، ونوع التعليم، وعدد سنوات الدراسة، والمؤهلات العلمية، وأسلوب الحياة، والقيم المرتبطة بالتفضيلات الثقافية الراقية، والأنشطة الثقافية المتنوعة. ويُشير الباحث هنا إلى أن الاتفاق الذي تجسد ما بين الدراسات السابقة حول قياس رأس المال الثقافي، جاء من خلال أن الفكر الذي طرحه "بورديو" حول هذا المفهوم جاء واضح ودقيق، ومارس تأثيراته على مختلف الباحثين الذين حاولوا الاستفادة من هذا المفهوم في فهم واقع مجتمعاتهم ودراسته. هذا بالإضافة إلى أن "بورديو" ناقش بشكل واضح مجموعة العناصر التي يمكن من خلالها قياس رأس المال الثقافي، وهي[٥٢]:

أ- مستوى التعليم والألقاب العلمية المعتمدة.

ب- عدد السنوات التي قضاها الشخص في الدراسة.

ت- تردد الشخص على الأنشطة الثقافية والمشاركة فيها.

وقد تنوعت الأدوات التي تم الاعتماد عليها في دراسة رأس المال الثقافي، وتُعد المقابلات من أهم هذه الأدوات، يأتي بعدها الاستبيان، ولعل المقابلة تُعد من أنسب الأدوات لدراسة رأس المال الثقافي وما يرتبط به من ممارسات، حيث أن مثل هذه الأداة توفر بيانات عميقة، وتُتيح للمبحوث الفرصة لكي يتحدث بحرية عن المتغيرات المرتبطة برأس المال الثقافي.

بناءً على ما سبق يتم تعريف رأس المال الثقافي إجرائياً بأنه "**مجموع الموارد الثقافية التي يمكن أن تُحقق للفرد المكانة الوظيفية والاجتماعية المتميزة، وتتضمن هذه الموارد :**

- **شغل المناصب العليا في المؤسسات الثقافية والتعليمية.**
- **سنوات الدراسة، والمؤهلات العلمية والتدريبية.**
- **بعض الرموز والممارسات الثقافية المكتسبة أو الموروثة من خلال أسرة النشأة.**

رابعاً : مفهوم رأس المال السياسي :

يذهب "بورديو" إلى أن المجال هو عبارة عن فضاء اجتماعي مُشيد، ومجال تفاعل للقوى – وداخل هذا المجال هناك المهيمنون والخاضعون للهيمنة، وهناك علاقات ثابتة ودائمة من

عدم المساواة تُمارس داخل هذا المجال – والمجال هو أيضاً ساحةً للصراع من أجل تغيير بنية المجال أو الاحتفاظ بالوضع القائم، فكل فرد داخل هذا العالم يُوظف القوة النسبية التي يمتلكها والتي تُحدد وضعه داخل المجال لتحقيق أهدافه الإستراتيجية في أثناء منافسته مع الآخرين[٥٤].

وداخل المجال تدور عمليات الكفاح والمناورة من أجل الوصول إلى الموارد الاجتماعية والسيطرة عليها وكذلك الرهانات التي يتضمنها المجال، والقدرة على استخدام هذه الموارد والوصول إلى تلك الرهانات، وهذه الرهانات لها صورٌ متعددة منها : السلع الثقافية، وأسلوب الحياة، والمسكن، والتمييز الثقافي والتعليمي، والوضع الاجتماعي، والقوة السياسية[٥٥].

وعلى هذا الأساس ناقش "بورديو" المجال السياسي في أحد مؤلفاته بوصفه جزء صغير من العالم الاجتماعي، وأن المجال السياسي كأي مجال اجتماعي فيه المسيطرون وفيه الأتباع، وله أغنيائه وفقرائه، ويمينه ويساره، وكما في المجالات الأخرى كلما ازدادت استقلالية وذاتية المجال، كلما ازداد انغلاقه عن العالم الخارجي، وداخل المجال السياسي المستقل نسبياً، يتم تحديد مركز الفرد ومكانته وفقاً لمواقفه السياسية، ويحاول الفاعلون داخل المجال السياسي احتكار الوسائل الشرعية، في أثناء تنافسهم مع الفاعلين في المجالات الأخرى (كالعلماء، ورجال الإعلام) من أجل احتكار العنف الرمزي[٥٦].

ويذهب "بورديو" إلى أن الموارد التي تبنى المجال السياسي، تتلخص في رأس المال السياسي Political Capital والذي يُعد مورداً خاصاً، يحاول الفاعلون دوماً مراكمته، إضافةً إلى رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الثقافي، ويُعد رأس المال السياسي شكلاً من أشكال رأس المال الرمزي، لأنه نقطة البداية لتأسيس الثقة والتقدير، وهو أيضاً يمنح الفاعلين القوة التي يحتاجونها داخل المجال السياسي. ويؤكد "بورديو" على أن الفاعلين الذين ينجحون في جمع ومراكمة أكبر قدر من رأس المال السياسي سوف يكون لهم السيادة، في حين أن الذين لديهم رأس مال سياسي أقل سوف يكونوا تابعين، ويؤكد "بورديو" أيضاً على أن المكانة العالية في المجال السياسي تُساعد على زيادة المنافع ومراكمة المكانة والقوى داخل بنية المجال. وهنا تكون منافع وعوائد المجال السياسي للفرد مفيدة للمصلحة العامة لأنها تُعزز من شرعية قيم المجال[٥٧].

وبناء على ما سبق فإن رأس المال السياسي هو القوة السياسية التي يحوزها الفرد من خلال تبوء المراكز والمناصب الرئيسة في المؤسسات المهمة داخل المجال السياسي (كالأحزاب،

والبرلمانات)[٥٨]. بمعنى أن القوة هنا متمثلة بشكلٍ واضح في المنصب السياسي، وهذا الأخير يُسهل على الأفراد حيازة ومراكمة رأس المال السياسي.

كما يمكن القول أن رأس المال السياسي يتجسد من خلال المكانة والمناصب العليا في الأحزاب السياسية، خاصة الحزب المُسيطر، ومن خلال الهيئات والمنظمات التي تعمل داخل المجال السياسي. والفاعلون السياسيون دائماً يتواجدون وبدرجاتٍ متفاوتة داخل لعبة مزدوجة ذات وجهين؛ الأول: داخل المجال السياسي ذاته، والثاني: داخل المجال العام، ففي المجال السياسي يسعى الفاعلون نحو نزع الإدراك والاعتراف من الأقران، بينما في المجال العام يسعون إلى تلقي الدعم من أتباعهم الناخبين، وقوة الفاعل في المجال السياسي تعتمد على مهاراته في التحدث باسم هؤلاء الذين يكونون خارج هذا المجال[٥٩].

وهناك من يُؤكد على أن الفرد الذي يمتلك رأس المال السياسي، ينبغي أن تكون لديه القدرة على الوصول إلى المعلومات السياسية، والقدرة على تحليلها بشكلٍ جيد، واتخاذ المواقف السياسية الملائمة لذلك، لأن هذا ما يُفيد في عملية استثمار الفرد لهذه المعلومات، حتى تعود عليه بالنفع[٦٠].

وأخيراً يُميز "بورديو" بين شكلين من أشكال رأس المال السياسي هما[٦١]:

الأول : رأس المال السياسي القائم على الكاريزما[*]: وهو رأس مال سياسي يكتسبه الفرد من خلال إمكانياته الذاتية، ويكون بطئ في تكوينه ومراكمته بمعنى أنه يحتاج للوقت والجهد، ويعتمد بشكلٍ أساسي على أفعال الفرد وقدراته ومواقفه الكاريزمية، خاصةً في تلك الأوقات التي يُعانى فيها النظام من أزمةٍ ما، وهذا الشكل من رأس المال السياسي يختفي باختفاء الفرد الذي يمتلك هذه القدرات فهي قاصرةٌ عليه، ولا يستطيع نقلها أو توريثها لأحدٍ غيره.

الثاني : رأس المال السياسي القائم على التفويض، وهو ذلك الشكل الذي يكتسبه الفرد من خلال التفويض الذي يناله من حزبٍ معين أو مؤسسة سياسيةٍ بعينها.

ويعكس التُراث البحثي السابق نُدرةً في الدراسات الإمبيريقية التي عالجت مفهوم رأس المال السياسي، وقد يرجع ذلك إلى أن هُناك العديد من المفاهيم التي يُمكن أن تحل محل المضامين التي يُعبر عنها مفهوم رأس المال السياسي، مثال مفاهيم القوة السياسية، والسلطة، والنفوذ السياسي.

ومن خلال دراسة هذه النماذج القليلة يُمكن التأكيد على أن الأفكار التي تُؤكدها هذه الدراسات تتمثل في الارتباط بين رأس المال السياسي والقوة والفاعلية داخل المجالين

السياسي والاجتماعي، وعلى الرغم من أهمية مفهوم رأس المال السياسي كأداة يُمكن من خلالها فهم النظم السياسية، والكشف عن علاقات القوة واتجاهاتها داخل المجال السياسي في أي مجتمع، إلا أن ما يمنع ذلك هو حاجة مثل هذا المفهوم للعديد من الاجتهادات النظرية حتى يُصبح من السهل اختباره في الواقع[٦٢].

وتعتمد الدراسة الراهنة على تعريف إجرائي مؤداه أن: **رأس المال السياسي هو عبارة عن القوة والموارد التي يحوزها الفرد من خلال شغل المراكز والمناصب الرئيسة في المؤسسات المهمة داخل المجال السياسي (مثال الأحزاب، والمجالس النيابية).**

خامساً : مفهوم رأس المال الديني :

إذا كان رأس المال في حد ذاته يعنى أن بنية تتشكل من القيم، وأن إعمال هذه القيم أو استثمارها قد يكسب أو يخسر قيماً، وأن هذه القيم تُشكل تراكماً، وزيادة معدلات التراكم يعنى زيادة معدلات القوة بالنسبة لرأس المال، وأن قيمة رأس المال ذات طبيعة تبادلية بالأساس، على هذا النحو فإن تأمُّل الدين في أي مجتمع من المجتمعات يُفضى إلى التأكيد على أن الدين يُشكل في حد ذاته رأسمال، يستند إلى موارد ومصادر طبيعة يُعاد إنتاجها، وتشبع حاجة كل من الفرد والمجتمع إلى الأمان، إضافةً إلى ذلك؛ فقد تُستثمر فاعلية الدين في الحفاظ على الوضع القائم، أو تُستثمر المعاني الدينية في تحقيق أهداف اجتماعية أو اقتصادية للمجتمع كما أنها تساعد على توليد قيم جديدة تضاف إلى قيم المجتمع[٦٣].

ويؤكد "جيفريس" Jeffries على أهمية القيم الجديدة التي يضيفها استثمار الدين كرأسمال وذلك في قوله : أن سبب وجود الدين داخل المجتمع البشرى يكمن في أنه يحقق وحدة المجتمع، وذلك من خلال تزويد الأفراد بمجموعة من القيم والغايات المشتركة بين البشر[٦٤]. وكما يُشير "على ليلة" إلى أنه يُمكن استكشاف البدايات الأولى للتعامل مع الدين كرأسمال في التنظير الذي قدمه "ماكس فيبر" (١٨٦٤-١٩٢٠) فيماً يتعلق بالدور الذي يلعبه الدين في نشأة النظام الرأسمالي[٦٥].

وإذا ما كان كلٌ من "ماكس فيبر" و"على ليلة" قد أكدا على أن الدين يُمثل رأس مال مهم على مستوى المجتمعات القومية، فإن الباحث في هذا السياق يُؤكد على أن الدين أيضاً له نفس الأهمية على مستوى الأفراد خاصة في سياقات المجتمعات النامية التي تقف على هامش الحداثة[*].

وهُنا يُمكن النظر إلى رأس المال الديني Religious Capital بوصفه درجة حيازة الفرد

وسيطرته على الثقافة الدينية، وهذا يُشير إلى درجة تعلم الفرد واكتسابه للمعرفة والمهارات والشعائر الخاصة بدين معين[٦٦].

ويُعرف "أناكون" Iannaccone رأس المال الديني بأنه المهارات والخبرات الخاصة بعقيدة الفرد، ويتضمن أيضاً المعرفة الدينية والإحساس بالألفة مع شعائر العقيدة[٦٧]. ويتم إنتاج ومراكمة رأس المال الديني داخل نظام التعليم الديني الرسمي أو غير الرسمي، وأن رأس المال الديني هُنا سلعة واسعة الانتشار يتم التحكُم فيها عن طريق نماذج معقدة للإنتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك، ليس هذا فحسب بل إن رأس المال الديني يُمثل نوعاً وشكلاً قيم فعال، لأنه باستثماره الجيد يُمكن أن يُحقق للفرد تقدماً اجتماعياً، واقتصادياً، ويمكن التأكيد على ذلك من خلال النظر إلى الكم الهائل من القادة الدينيين المنحدرين من طبقات عليا ودنيا[٦٨]. أو من خلال النظر إلى الدُعاة الجُدد الذين ينتشرون في المحطات الفضائية.

ورأس المال الديني مثله مثل الأشكال الأخرى من رأس المال قابلاً للتحول أو الخضوع للعملية التي أطلق عليها "بورديو" مصطلح تدوير رأس المال، فمثلاً يُمكن تحويل رأس المال الديني إلى رأس مال اقتصادي، أو إلى شكل آخر من أشكال رأس المال، كما أنه يُمكن توريث رأس المال الديني ونقله من جيل إلى آخر[٦٩].

وتعكس المناقشات النظرية حول مفهوم رأس المال الديني خلافاً حول ما إذا كانت عملية تكوين وتراكم رأس المال الديني لدى الأفراد تُعزى إلى مدى إقبال الأفراد على تعلم الثقافة الدينية والالتزام بأداء الفرائض والشعائر المرتبطة بالدين، أم أنها عملية ترتبط بالبنيات الاجتماعية ذاتها[٧٠].

وعلى غرار تصنيف "بورديو" لأشكال رأس المال الثقافي، هناك من ميز ما بين ثلاثة أشكال لرأس المال الديني وهي[٧١]:

١- رأس المال الديني المدمج، وهو يُمثل مقياساً لنزعة الفرد، والوقت والجهد اللذان يبذلهما في مجال الدين.

٢- رأس المال الديني الموضوعي، وفيه يتخذ رأس المال الديني شكل السلع المادية والرمزية، والنصوص الدينية، وزى رجال الدين ...إلخ.

٣- رأس المال الديني المؤسسي، ويتمثل في الشهادات التي تمنحها المؤسسات الدينية للأفراد، وعضوية المؤسسات الدينية، وكلها تعبر عن مأسسة رأس المال الديني.

وتعكس الدراسات السابقة اختلاف المستويات التي تم فيها تطبيق رأس المال الديني،

فدراسة "على ليلة" حاولت تطبيق مفهوم رأس المال الديني على مستوى المجتمع الكبير، فذهب وأكد على أن رأس المال الديني هو مجموعة المعاني والرموز الدينية والتي تُحقق تكامل المجتمع، وخلص "على ليلة" إلى أن كلٌ من المجتمع الإيراني والمجتمع الإسرائيلي قد نجحا في استدعاء الدين والاعتماد عليه كرأسمال يُمكن من خلاله تحقيق أهداف ليست بالضرورة دائماً دينية، لأن بعض هذه الأهداف ارتبطت بالعديد من القرارات السياسية[٧٢].

وخلاف ذلك هناك دراسات ركز أصحابها علي استخدام رأس المال الديني على مستوى الأفراد، بوصفه درجة حيازة وسيطرة الفرد على الثقافة الدينية، من خلال تعلم الفرد للمعرفة والمهارات والشعائر الخاصة بدينٍ معين سواء كان هذا التعليم بشكل رسمي أو غير رسمي. ليس هذا فحسب بل رصدت الدراسات حركة تدويرات رأس المال الديني إلى الأشكال الأخرى من رأس المال، تلك التدويرات التي تُعظم المنافع والفوائد المردودة من خلال رأس المال الديني[٧٣].

ويُؤكد الباحث هُنا على أن مفهوم رأس المال الديني – كما هو مفهوم رأس المال السياسي- في حاجة لمزيد من الدراسة والاختبار الإمبيريقى، حتى تتسع حدود المفهوم وتتضاعف مضامينه وتتعمق. ويقترح الباحث في هذه الدراسة رؤية إجرائية لمفهوم رأس المال الديني تذهب إلى **أنه درجة حيازة الفرد على الثقافة الدينية، والوصول إلى الموارد المرتبطة بهذه الثقافة، والتي تضمن له تحقيق مكانة اجتماعية متميزة داخل المجال الديني، ومن أهم المؤشرات التي سوف يتم بها قياس رأس المال الديني والاستدلال عليه، هي:**

أ- الشهادات والمؤهلات والتدريبات التي يحوزها الفرد من خلال المؤسسات التعليمية الدينية.

ب- المكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد في المؤسسات العاملة في المجال الديني.

ت- حيازة السلع المادية والرمزية المرتبطة بالدين، مثال الحرص على ارتداء الزى الديني.

التعقيـب :

عرض الباحث فيما سبق لمقولات رأس المال من الطرح الكلاسيكي لدى "كارل ماركس"، نهايةً بالطرح المعاصر الذي ظهر لدى العديد من العلماء، وتم التأكيد على أهمية مفهوم رأس المال ومحوريته داخل العلوم الاجتماعية، وعلى هذا الأساس سوف يقوم الباحث بعرض مجموعة من الملاحظات التي خلص إليها بعد هذه المناقشة، وذلك على النحو التالي :

أ- أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال فصل التطور الذي شهده مفهوم رأس المال، عن التطور الذي شهدته الرأسمالية، فكل تطور شهده مفهوم رأس المال، وكل شكل جديد ظهر من أشكاله ارتبط إلى حد ما بمرحلة معينة من مراحل تطور الرأسمالية، ويمكن إقامة الدلائل على ذلك من خلال تزامن التحولات الأخيرة التي شهدتها الرأسمالية ودخلت من خلالها إلى مجتمع المعلومات، مع ظهور أشكال جديدة من رأس المال، مثال: رأس المال الفكري، ورأس المال المعرفي، ورأس المال المعلوماتى[٩٠].

ب- أنه على الرغم من الزخم العلمي المرتبط بمفهوم رأس المال، وأهمية إسهام كل من "آدم سميث" و "كارل ماركس" وغيرهما، إلا أن أهم الإسهامات المعاصرة في هذا المجال تتمثل في طرح "بورديو" الذي نظر إلى رأس المال بوصفه كل طاقة اجتماعية تستخدم في التميز والمنافسة، وبهذا المفهوم الذي طرحه "بورديو" فإنه عزم على نقل نظرية رأس المال المرتبطة بالعمل في المجال الاقتصادي لوصف العالم الاجتماعي، ليس هذا فحسب بل أكد "بورديو" على أن توزيع الأفراد في الفضاء الاجتماعي يتم طبقاً للكم الإجمالي لرأس المال في المقام الأول، وطبقاً لبنية رأسمالهم، أي الوزن الارتباطي للأنواع المختلفة من رأس المال[٩١].

ت- وإذا كان "بورديو" قد تميز بهذا الطرح لمفهوم رأس المال، فإنه تميز أيضاً بطرحه لشكل رابع من أشكال رأس المال وهو رأس المال الرمزي Symbolic Capital حيث يعرفه بأنه الشكل الذي يتحول إليه أي شكل من أشكال رأس المال في حال ما تم الاعتراف به وإدراكه اجتماعياً، أو تم إضفاء الشرعية عليه، تلك الشرعية التي تنظمها قوانين المجال الاجتماعي[٩٢].

ث- لم يكن الانتقال من مستوى التحليل الكلى الذي تبناه "كارل ماركس" في نظريته عن رأس المال إلى مستوى التحليل الجزئي، هو التحول الوحيد في نظرية رأس المال، ولكن كان بالإضافة إلى ذلك تحولٌ آخر وهو اعتبار الفعل والاختيار من العناصر المهمة

والتي ينبغي التركيز عليها في إطار الرؤى المعاصرة لرأس المال، وهذا يُخالف الطرح الكلاسيكي لرأس المال، ذلك الطرح الذي نظر إلى أصحاب رأس المال على أنهم من لديهم القُدرة على الفعل والاختيار، والعُمال ما هم إلا عناصر يتم الاعتماد عليها في إطار عملية الإنتاج[٩٣].

ويُؤكد الباحثُ على أن أهم ما قدمته الرؤى المختلفة لمفهوم رأس المال بأشكاله المتعددة، هو التعامل مع مفاهيم رأس المال بوصفها مفاهيم منظمة لفهم الآليات التي تُؤثر على فُرص الحياة[*] Life Chances. لدى الأفراد، ليس هذا فحسب، بل أن توزيع الأفراد داخل البنية الطبقية في أي مجتمع يتحدد على ضوء المقدار الذي بحوزتهم من رءوس الأموال المختلفة.

هوامش الفصل الثانى

(1) Jff Couiter, Conceptual Transformations, Sociological Theory, Vol. 13, No.2, Jul 1995, P. 164.

(2) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory. Vol.1, Sage Publication, London. 2005, P.75.

(٣) انظر في ذلك :

- Alexander Lellatchitch. and Others, The Field of Career Towards a New Theoretical Perspective, P.5. http:// www. Wien. Ac- at/inst/ ivm/local.htm
- Helmut K. Anheir. and Others. Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography, American Journal of Sociology, Vol. 100, No. 4, Jan 1995, P. 862.

(4) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory. Vol.1, Sage Publication, London, 2005, P.75.

(٥) إلياس فرح، تطور الفكر الماركسي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م، ص ٧٤.

(6) Nan Lin. Social Capital: A Theory of Social Structure and Action. Cambridge University Press. Cambridge. 2001. P. 7.

(*) يُشير مفهوم الكابح الاجتماعي عند "جيدنز" إلى أن الجماعات والمجتمعات التي ننتمي إليها تمارس تأثيراً فاعلاً، يسهم في تشكيل سلوكنا. ولقد اعتبر "دور كايم" أن الكابح الاجتماعي يمثل أحد الخصائص المميزة للظواهر الاجتماعية، ولقد قسم "جيدنز" هذه الكوابح إلى ثلاثة أنماط هي؛ الكوابح المادية، والعقاب الشعبي، والكوابح البنائية. انظر في ذلك :

- أنتونى جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٢.
- أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع، نظرية تشكيل البنية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد رقم (٣٣)، العددان (١ ، ٢)، المركز القومي للبحوث

الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مايو١٩٩٦م، ص ص ٨٠-٨٢.

(7) Pierre Bourdieu, The Forms of Capital, In J.G Richardson (ed),Handbook of Theory and Research for The Sociology of Education, Greenwood press, New York, 1980, PP. 241- 242.

(8) Esther Ho Sui – Chu, Parental Involvement and Student Performance : The Contribution of Economic, Cultural. and Social Capital, National Library of Canada. Canada. 1998. PP. 56- 57.

(9) Nan Lin, Inequality In Social Capital, Contemporary Sociology, Vol. 29, No. 6, Nov. 2000. pp. 785 -786.

- عندما تناول "كارل ماركس" مفهوم رأس المال بهذا الطرح الكلاسيكي لم يكن أمامه إلا صورة واحدة وهي الهزيمة الحتمية للنظام الرأسمالي، ولكن وبعد أن استمرت الرأسمالية وفرضت سيطرتها، كان علم الاجتماع في حاجة لإعادة إنتاج مفهوم رأس المال، فلا سبيل لأحد الآن إلا أن يكون رأسمالياً. ولكن في أي شئ يستثمر وهو لا يملك شئ من أساليب الإنتاج ولا يضع في البنوك أرصدة من الأموال، وهنا جاء تدخل "بورديو" ليطرح أشكالاً أخرى من رأس المال يحوزها الجميع، هذه الأشكال الجديدة من رأس المال تجعل من كل فرد رجل استثمار.

(10) Emily Etcheverry, Social Capital : A Resource for the Human Capital Development of University Students, Faculty of Education. Canada. 1996. P. 23.

(١١) حامد الهادي، الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٥٧.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٥٧.

(١٣) انظر في ذلك :

- James Colman, Foundations of Social Theory, Belknap Press, Cambridge,1990. P. 304.
- James P. Spillane and Others, Forms of Capital and The Construction of leadership: Instructional Leadership in Urban Elementary Schools,Sociology of Education, Vol. 76, No.1, Jan 2003, p. 3.

(14) Emily Etcheverry, Social Capital: A Resource For The Human Capital Development of University Students, Op. Cit., P. 24.

(15) Nan Lin, Social Capital: A Theory of Social Structure and Action, Op.Cit., P.14.

(16) Ibid. P. 10.

(*) لقد ازدهر مفهوم رأس المال الاجتماعي وانتشر في أواخر القرن العشرين، عندما كانت الرأسمالية في ذروتها، ويحمل هذا المفهوم مختلف المضامين والقيم والمعاني التي تفقدها المجتمعات الرأسمالية ذاتها. انظر في ذلك :

- Manohar Pawar, " Social " " Capital ", The Social Science Journal, Vol. 30, 2006, P. 5.

(17) Alejandro Portes, Social Capital : Its Origins and Applications in Modern Sociology, Annual Review of Sociology. Vol. 24, 1998, P. 2.

(18) Ibid. P. 2.

(19) Robert D. Putnam (ed), Democracies in Flux : The Evolution of Social Capital in Contemporary Society. Oxford University Press, Oxford. 2002. P. 4.

(20) Fukuyama, the End of Order, Center for Post – Collectivist Studies, London. 1997. P. 3.

(21) Pierre Bourdieu, The Forms of Capital, Op.Cit., P. 249.

(٢٢) انظر في ذلك :

- Qyvind Ihlan, The Power of Social Capital : Adapting Bourdieu to the Study of Public Relation, Public Relations Review, Vol. 31, 2005, P. 494.

(23) Edgar F. Borgatta, Rhonda J.V. Montgomery, Encyclopedia of Sociology, Vol. 4, Macmillan Reference, New York, 2000. P. 2637.

(24) Helmut K.Anheier, Jurgen Gerhards. Frank P. Romo, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Fields : Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., P. 862.

(25) Pamela Paxton, Social Capital and Democracy : An Interdependent Relationship, American Sociological Review, Vol. 67, No. 2, Apr. 2002, P. 256.

(26) Ricardo D. Stanton – Salazar, Sanford M. Dornbuch, Social Capital and The Reproduction of Inequality : Information Networks Among Mexican – Origin High School Students, Sociology of Education, Vol. 68. No.2, Apr. 1995, P.119.

(27) Nan Lin, Inequality in Social Capital, Op.Cit., P. 786.

(28) Alejandro Portes, Patricia Landolt, Social Capital : Promise and Pitfalls of Its Role in Development, Journal of Latin American Studies, Vol. 33, No. 2, May 2000, P. 532.

(٢٩) لمزيد من التفاصيل حول رؤية " كولمان "، انظر :

- James Colman, Foundations of Social Theory, Op.Cit., p. 302.
- William A. Amaloney and Others, Social Capital and Associational Life, in Stephen Baron and Others (eds), Social Capital : Critical Perspectives, Oxford University Press, Oxford, 2000, P. 214.

(30) James Colman, Social Capital in the Creation of Human Capital, American Journal of Sociology, Vol. 94, 1984, PP. 102 -104.

(31) Alejandro Portes. Social Capital : Its Origins and Applications in Modern Sociology. Op.Cit., P. 5.

(32) Tom Schuller, and Others, Social Capital : A Review and Critique, in Social Capital : Critical Perspectives. Op.Cit., P. 8.

(33) Eric F. Piche. Religion and Social Capital in Canada, Queens University, Canada. 1999, P. 1.

(34) Alejandro Portes, The Two Meaning of Social Capital, Sociological Forum, Vol.15, No. 1, Mar. 2000. PP. 3- 4.

(٣٥) انظر في ذلك :

- Anirudh Krishna, Active Social Capital, Columbia University Press, New York, 2002, PP. 57 -62.
- Ted Mouw, Social Capital and Finding Job : Do Contacts Matter ?, American Sociological Review, Vol. 68, No. 6, Dec 2003, PP. 868 -870.
- Nan Lin, Social Networks and Status Attainment, Annual Review of Sociology, Vol. 25, 1999, PP. 467 -470.
- Robert D. Putman, Democracies in Flux : The Evaluation of Social Capital in Contemporary Society, Op. Cit, PP. 3- 8.

(٣٦) انظر في ذلك :

- Joel Sobal, Can We Trust Social Capital?, Journal of Economic Literature, Vol. 40, No.1, Mar 2002, P. 141.
- Qyvind Ihlan, The Power of Social Capital : Adapting Bourdieu To The Study of Public Relations, Op. Cit, P. 494.

- أحمد زايد وآخرون، رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ص ٩-١٠.

(٣٧) من الدراسات التي اهتمت برأس المال الاجتماعي على مستوى الجماعات والمجتمعات، انظر :

- Anil Rupasingha and Others, The Production of Social Capital In Us Counties, The Journal of Socio-Economic, Vol. 35, 2006, PP. 83 -101.
- Lorne E. Jaques, Social Capital and The Community : A Case Study of A Small Mexican Village, National Library of Canada, 2001, PP. 47 -58.

(٣٨) انظر في ذلك :

- Vivien Lowndes, Women and Social Capital, British Journal of Political Science, Vol. 30, No. 3, Jul 2000, PP. 533- 537.

(٣٩) انظر في ذلك :

- Nan Lin, Social Networks and Status Attainment, Op. Cit., PP. 46 7- 475.
- Pierre Bourdieu, Distinction : A Social Critique of The Judgment of Taste Translated By Richard Nice, Routledge, London, 1948.

(40) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Op.Cit., P. 168.

ولمزيد من التفاصيل حول إشكالية الثقافة، وأبرز المقاربات الأنثروبولوجية والأيديولوجية والسوسيولوجية لمفهوم الثقافة، انظر :

- عبد الغنى عماد، سوسيولوجيا الثقافة .. المفاهيم والإشكاليات .. من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.

(41) Pierre Bourdieu, The Forms of Capital, Op.Cit., PP. 244- 248.

(42) Paul W. Kingston, The Unfulfilled Promise of Cultural Capital Theory, Sociology of Education ,Vol. 74, 2001, P. 89.

ويعقب الباحث هنا على تقييم "لامونت" و "لارو" لرؤية "بورديو" لمفهوم رأس المال الثقافي، إلى عدم موضوعية هذا التقييم، لأن هناك العديد من الدراسات التي أخضعت نظرية "بورديو" للاختبار الإمبيريقى، ليس في العالم الغربي فحسب، بل وأيضاً في كثير من دول العالم الثالث، ومنها في مصر، انظر على سبيل المثال :

- خالد عبد الفتاح، المتعلمون القرويون خصائصهم الاجتماعية ورؤاهم للعالم، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، ١٩٩٩م.
- Ghada P. Barsoum, The Employment Crisis of Female Graduates in Egypt, Cairo Papers in Social Science, Vol. 25, No. 3, The American University, Cairo, 2002.

(٤٣) انظر في ذلك :

- Michele Lamont, Annette Lareou, Cultural Capital : Allusions, Gaps and Glissandos in Recent Theoretical Developments, Sociological Theory, Vol. 6, No.2, Auto. 1988, PP. 150156-.
- Paul W. Kingston, The Unfulfilled Promise of Cultural Capital Theory, Op. Cit., P. 89.

(44) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Op. Cit., P. 167.

(45) Elizabeth B. Silva, Homologies of Social Space and Elective Affinities : Researching Cultural Capital, Sociology, Vol. 40, No. 6, 2006, P. 1173.

(46) Helmut K. Anheier, Jurgen Gerhards, Frank P. Romo, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Fields : Examining Bordeaux's Social Topography, Op.Cit., P. 862.

(47) Alexander Lellatchitch, and Others, The Filed of Career...Towards A New Theoretical Perspective , Op. Cit., P.5.

(48) Susan A. Dumais, Cultural Capital, Gender, and School Success : The Role of Habitus, Sociology of Education, Vol. 75, No. 1, Jan 2002, P. 48.

(49) Alejandro Portes, The Two Meanings of Social Capital, Op. Cit., P. 2.

(50) Susan A Dumais, Cultural Capital, Gender, and School Success : The Role of Habitus, Op. Cit., PP. 48- 49.

(٥١) انظر في ذلك :

- Susan A. Dumais, Cultural Capital, Gender, and School Success : The Role of Habits, Op Cit, PP. 48 -49.
- Jon Lauglo, Social Capital Trumping Class and Cultural Capital ? Engagement With School Among Immigrant Youth, In Stephen Baron (ed), Social Capital : Critical Perspectives, Oxford University Press, Oxford, 2000, P. 154.

(52) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Op Cit, P. 168.

(٥٣) انظر في ذلك :

- Michele Lamont. Annette Lareau. Cultural Capital : Allusions. Gaps and Glissandos in Recent Theoretical Developments. Op Cit. P.155.
- Carlo Barons. Cultural Capital. Ambition and the Explanation of

Inequalities in Learning Outcomes. Sociology. Vol. 40. No.6. 2006. PP. 1040 -1042.

(٥٤) بورديو، التليفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجى، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٨٨.

(55) Richard Jenkins, Pierre Bourdieu, Rutledge, London, 1992, P. 84.

(56) Niilo Kanppi, Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and European Integration, Working Paper, No. 104, Center of European Studies, 2002, P.10.

(57) Ibid, P. 9.

(58) Vincent Jeffries, H. Edward Ransford, Social Stratification, Allen and Bacon INC, Boston, 1980, P. 66.

(59) Niilo Kanppi, Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and European Integration, Op. Cit, P. 11.

(60) Tim Blum, and others, The Political Capital of Foreign Subsidiaries, Business & Society, Vol. 18, No. 5, Sep. 2007, P. 3.

(61) Niilo Kanppi, Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and European Integration, Op. Cit., P. 12.

(*) يلاحظ الباحث هنا أن طرح بورديو عن رأس المال السياسي القائم على الكاريزما، مستمد أساساً من فكرة "ماكس فيبر" حول أشكال السلطة، حيث أشار "فيبر" إلى السلطة الكاريزمية، وهي أن شخص ما يمتلك بالنظر إلى قدراته السحرية أو الدينية أو العسكرية، خاصية تنبؤية سامية، يعتقد أن بقية البشر يفقدونها. انظر في ذلك :

– على ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٤٢٥.

(٦٢) انظر في ذلك :

- Niilo Kanppi, Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and of European Integration, Op Cit, P.11.
- Tim Blum, and Others, The Political Capital of Foreign Subsidiaries, Op Cit, P. 3.

(٦٣) على ليلة، العلاقة بين الدين والسياسة في أجندة الإصلاح في العالم العربي، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٧.

(64) Vincent Jeffries, Social Stratification, Op. Cit., P. 101.

(٦٥) على ليلة، العلاقة بين الدين والسياسة في أجندة الإصلاح في العالم العربي، مرجع سابق، ص ٧.

(*) ولقد ذهب "بورديو" إلى التأكيد على هذه الفكرة من خلال إشارته إلى تمركز الكفاح نحو السيطرة على رأس المال الديني، بين فئات من الأفراد منهم رجال الدين، وجمهور المؤمنين، وكذلك الكفاح بين سلطات رجال الدين وأولئك الخارجين عن تعاليم الدين. انظر في ذلك :

- Craig Calboun, Critical Social Theory, Black Well, oxford, 1995, P. 157.

(66) Roger Finke, Kevin D. Dougherty, The Effects of Professional Training : The Social and Religious Capital Acquired in Seminaries, Journal of the Scientific Study of Religion, Vol. 41, No. 1, 2002, P. 106.

(67) Bradford Verter, Spiritual Capital : Theorizing Religion With Bourdieu Against Bourdieu, Sociological Theory, Vol. 21, No. 2, Jun. 2003, P. 158.

(68) Ibid, P. 168.

(٦٩) انظر في ذلك :

- على ليلة، رأس المال الديني، والقيمة المضافة للفعل الإنساني، مجلة الديمقراطية العدد (٢٦)، مركز الدراسات والبحوث السياسية والإستراتيجية، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ص ٤٢-٤٣.

- Bradford Verter, Spiritual Capital, Op. Cit., P. 167.

(70) William A. Mirola, Marian College, Review of "Religion as Social Capital : Producing the Common Good", Colwin Wsmidt (ed), Sociology of Religion, Vol.67, No. 3, 2006, P. 341.

(71) Bradford Venter, Spiritual Capital, Op.Cit., PP. 159 -160.

(٧٢) انظر في ذلك :

- Roger Fink, Kevin D. Dougherty, The Effects of Professional Training : The Social and Religious Capital Acquired in Seminaries, Op Cit, PP. 103 -120.

- على ليلة، رأس المال الديني والقيمة المضافة للفعل الإنساني، مرجع سابق، ص ص ٤١-٤٩.

- خالد كاظم أبو دوح، رأس المال الديني وتنمية المجتمعات العربية، مجلة التسامح، العدد (٢٣)، عمان، صيف ٢٠٠٨م، ص ص ٢٣٧-٢٤٣.

(٧٣) خالد كاظم أبو دوح، تحولات المجال العام وعلاقتها بتبدلات رأس المال الديني في صعيد مصر، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي الحادي والعشرون للبحوث السياسية " تحولات المجال العام في مصر ... تنامي الصراع ومستقبل التوافق الاجتماعي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ديسمبر ٢٠٠٧م، ص ص ٥-١٠.

(90) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Op. Cit., P. 76.

(91) Pierre Bourdieu, Social Space and Symbolic Power, Sociological Theory, Vol.7, No.1, Spr.1989, P.17.

(٩٢) بورديو، العقلانية العملية، ترجمة عادل العوا، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٣٨.

(93) Nan Lin, Social Capital: A Theory of Social Structure and Action , Op. Cit., P. 17.

(*) يُعد مفهوم فرص الحياة من المفاهيم التي استخدمها "ماكس فيبر" لأول مرة في إطار تحليلاته النظرية حول الطبقة، ويقصد به فرصة الأفراد في استغلال قدراتهم وإمكانياتهم في تحقيق أهدافهم، أو فشلهم في ذلك. انظر في ذلك :

- John A. Perry, Erma K. Perry, Contemporary Society, Harper & Row Publishers, New York, 1981, P. 158.